



مهالم فف فافف القرآن الكرلم
بالمضرب



مهالم في تاريخ القرآن الكريم بالمغرب

بقلم : د. عبد الهادي حميتو

فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب، إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة، وهذا مذهب أهل الأنصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر أمم المغرب في ولدانهم، إلى أن يجاوزوا حد البلوغ إلى الشبيبة، وكذا مذهبهم في الكبير إذا راجع مدارس القرآن بعد طائفة من عمره، فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم».⁵

ومن المقولات الشائعة في هذا الصدد، مما يسجل لهم هذه الخصيصة، قول من قال ممن عني برصد مظاهر التبريز والحذق عند الشعوب الإسلامية: «نزل القرآن بلسان العرب ففسره الفرس، وكتبه الترك، وقرأه المصريون، وحفظه المغاربة».

ولا أدل على هذا النبوغ الخاص الذي عرفوا به من استعراض أسماء أكابر القراء خلال العصور، فإن الساحة مكتظة عبر القرون بأمثال أبي محمد مكي بن أبي طالب القيرواني⁶، وأبي العباس المهدوي⁷، وأبي عمرو الداني الحافظ⁸، وأبي داود بن نجاح تلميذه⁹، وأبي عبد الله بن شريح الإشبيلي¹⁰، وأبي القاسم الشاطبي¹¹ صاحب حرز الأمان في القراءات، وأبي

برز المغاربة، منذ فجر التاريخ الإسلامي، في ميدان حفظ القرآن الكريم، وأحرزوا قصب السبق في إتقان علومه، والحذق البليغ في رسمه وضبطه وقواعد تجويده وأدائه، والمعرفة بطرقه ورواياته. وقد جاءت هذه الخصيصة ثمرة طبيعية لما تميزوا به من العناية به، والحفاوة بتعلمه وتعليمه، حتى أفتى علماؤهم من أمثال أبي عمران الفاسي (ت430هـ-1039م) بإجبارية إقامة (الحضار)، قال في كتاب التعاليق: (الذي يعقد (الحضار)¹ هو السلطان أو القاضي وجماعة من الناس، فإذا عقدوه (الشرط)² لازم لجميع أهل الموضع، ويُنكَلُ³ بمن امتنع من تسليم ولده للمكتب، ويُجبر على ما ينوبه من أجر المعلم، ومن أبي طرد ونفي إن قدر عليه، لهدمه ركنًا من أركان الدين، ولا تجوز شهادته، ويُؤدب أدبا وجيعا)⁴.

قال ابن خلدون (ت808هـ-1406م):

«فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء الدراسة بالرسم ومسائله، واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من

1 - الحضار هو اسم المكتب أي الكتاب أو المسيد الذي يجتمع فيه الصبيان لتعلم القرآن، وما يزال معروفا في الحواضر بهذا الاسم إلى اليوم ويسمى في بعض الجهات بالمحضرة، وربما أطلق على القسم المتعلق بالصبيان من المسجد.

2 - الشرط هو نصيب الشخص مما اتفقت عليه الجماعة مع معلم القرآن يؤدي شهريا أو سنويا أو حسب الحذقات.

3 - يُعاقب.

4 - انظر النص في كتاب الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة لحسين بن علي بن طلحة الشوشاوي. ص291-292. بتحقيق الأستاذ عزوزي إدريس، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

5 - مقدمة ابن خلدون ص539-538. طبعة دار الفكر.

6 - مقرئ للسبع القيرواني انتقل إلى قرطبة وأقرأ بها وألف كتاب التبصرة في القراءات. توفي سنة 437هـ-1046م.

7 - مقرئ للسبع القيرواني انتقل إلى دانية بشرق الأندلس وأقرأ بها وألف كتاب الهداية في القراءات السبع، توفي حول سنة 440هـ-1049م.

8 - هو عثمان بن سعيد الداني حافظ القراءات ومؤلف كتاب التيسير في القراءات السبع، انتقل من قرطبة إلى دانية واشتهر بها وانتشر تلاميذه فنسب إليها. توفي سنة 444هـ-1052م.

9 - هو تلميذ أبي عمرو الداني: سليمان بن نجاح البلسي صاحب كتاب التنزيل في رسم المصحف؛ مات ببلنسية سنة 495هـ-1102م.

10 - هو محمد بن شريح الرعيني الإشبيلي مقرئ دولة ابن عباد بإشبيلية وصاحب كتاب الكافي في القراءات السبع توفي سنة 476هـ-1084م.

11 - هو أبو القاسم بن فيره الرعيني الشاطبي الأندلسي صاحب قصيدة حرز الأمان (الشاطبية) في القراءات السبع، رحل من شاطبة بشرق الأندلس وأقام بمصر حتى توفي بها سنة 590هـ-1194م.

الحسن الحصري¹، وابن بري التازي² وابن الصفار المراكشي³، وابن غازي المكناسي⁴، وابن القاضي الفاسي⁵، وإبراهيم الضيائي السوسي⁶، وأبي عبد الله أعجلي الباعمراني⁷، وأحمد الحبيب اللمطي السجلماسي وسواهم كثير⁸.

وإن إلقاء نظرة على ما تذييل به المصاحف المطبوعة في البلدان العربية والإسلامية من بيانات تكشف عن المصادر العلمية المعتمدة في تحريرها وتحقيق رسمها وضبطها وعدّ آياتها، فهو أقرب شاهد ودليل على ما لأمتنا في الغرب الإسلامي من التميز والتفوق الذي ذكرناه.

العناية بالكتاتيب القرآنية المسماة أيضا بالمحضرات أو المحاضر

كما أن الدارس لا يفوته أن يضع اليد على بعض السر وراء ما عرف به المغاربة من شغف المنزل في الحفظ على غيرهم، ذلك أن البلاد المغربية قد فتحت في الحقيقة بالقرآن، ولم تفتح بالسيف والسنان، ومن ثم فقد كان القرآن أول ما توجهت إليه هممهم، فلم يقنعوا منه بما دون المثل الأعلى في الحذق والرسوخ كما تمثل فيهم بحق قول الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلبا خاليا فتمكنا

ومن هنا لم يكن مستغربا أن نسمع عن الكثرة

والوفرة التي عرفتتها حركة إقامة الكتاتيب في الحواضر والبوادي، منذ أول الفتح وفي سائر العهود اللاحقة، حتى إن عددا من الدول التي حكمت المغرب كان مؤسسوها معلمين في الكتاب كعبد الله بن ياسين الجزولي، ومهدي الموحدين محمد بن تومرت الهرغي المصمودي، وصاحبه عبد المؤمن بن علي الكومي. ومن محاضريهم تلك انطلقت حركاتهم ودعواتهم.

وإذا كنا نقرأ في كتب التاريخ الأندلسي في عهد ازدهار حكم بني أمية بها عن مقدار ما بلغته الرعاية الرسمية في احتضان التعليم القرآني، حتى قيل إنه في عهد الحكم المستنصر (ت366هـ - 977م) بلغ عدد الكتاتيب المقامة حول جامع قرطبة لتعليم أبناء الفقراء سبعة وعشرين كتابا، وحتى قال في ذلك الشاعر ابن شخيص يمدح المستنصر المذكور بذلك:

وساحة المسجد الأعلى مكللة

مكاتبا لليتامى في نواحيها

لو مكنت سور القرآن من كلم⁹

نادتك يا خير راعيها وتاليتها

وزيادة في إكرام المؤدبين (المعلمين) (حبس الحكم المستنصر حوانيت السراجين بقرطبة على المعلمين (لأولاد الضعفاء).¹⁰

إذا كنا نقرأ ذلك عند ابن عذاري المراكشي، فإننا لا نفاجأ بعدها بما ذكره عبد الواحد المراكشي صاحب «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» من قوله نقلا عن ابن

- 1 - هو أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري القيرواني الضرير صاحب القصيدة الرائية (الحصرية) في قراءة نافع نزل سبته وتوفي بطنجة سنة 468هـ - 1076م.
- 2 - هو أبو الحسن علي بن محمد بن بري التازي، قرأ ببلده وأقرأ بها ثم انتقل إلى فاس فتولى كتابة الديوان المريني إلى أن توفي بها سنة 730هـ - 1330م. وهو صاحب أرجوزة الدرر اللوامع في قراءة الإمام نافع.
- 3 - هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم التينملي المراكشي الصفار صاحب كتاب الزهر اليناع في قراءة نافع انتقل من مراكش إلى فاس، وكان يقرئ السلطان أبا عنان المريني ويصلي به إلى أن توفي بقاس سنة 762هـ - 1361م.
- 4 - هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غازي المكناسي نزيل فاس وشيخ الجماعة بها وصاحب أرجوزة تفصيل عقد الدرر في طرق القراءات العشر النافعية، توفي سنة 919هـ - 1513م.
- 5 - هو إمام القراء وشيخ الجماعة بفاس أبو زيد عبد الرحمن بن القاضي صاحب كتاب الفجر الساطع في شرح الدرر اللوامع، توفي سنة 1082هـ - 1672م.
- 6 - هو إبراهيم الضيائي السوسي تلميذ أبي زيد عبد الرحمن بن القاضي، توفي في صدر القرن الثاني عشر الهجري.
- 7 - هو صاحب كتاب الهداية لمن أراد الكفاية في ضبط أواخر الكلم مما صح بالرواية (مخطوط بالخزانة العامة بالرباط). توفي سنة 1268هـ - 1852م.
- 8 - هو أبو العباس أحمد الحبيب اللمطي مقرئ أهل سجلماسة وصلح مدرس التجويد بها، توفي سنة 1165هـ - 1752م.
- 9 - انظر كتاب البيان المغرب في تاريخ المغرب لابن عذاري المراكشي. مجلد 2 ص 240-241.
- 10 - البيان المغرب الجزء الثاني ص 249، وانظر كتاب قراءة الإمام نافع عند المغاربة للدكتور عبد الهادي حميتو، مجلد 1 ص 55. نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

والأداء، وأهل فاس بحفظ القراءات والأسانيد. وقد كان بقبيلة السراغنة دوار يسمى بأولاد صبيح قد صار يسمى في تلك الأوساط في القرن الماضي بدوار «الشيخ حمزة»، وذلك لكثرة من كان يحفظ قراءة «حمزة» فيه من سكانه. وهذه التسمية ظلت معروفة إلى وقت قريب كما ذكر ذلك العلامة الفقيه الرحالي في بعض مقالاته في مجلة «دعوة الحق».

على صعيد القبائل والمناطق

فقد اشتهر عند طلبة القرآن في العصور الأخيرة هذا الرمز الذي يرمزون به للقبائل والمناطق التي اشتهرت بازدهار قراءة القرآن فيها بصفة متميزة، فيرمزون لها برمز (مسجد) فالميم مسفيوة⁷، والسين سوس، والجيم جبالة، والذال دكالة⁸. وقد ذكر بعض المشايخ أنه في مدرسة سيدي الزوين⁹ كان يجتمع القرآن كله في الألواح.

في عهد السلطان المولى الحسن الأول

ولما كان المولى الحسن الأول (ت 1311هـ-1894م) قد ورث عن أسلافه الميامين هذه الرعاية السامية، فقد نفخ فيها روحا جديدة بما سنه من إجراء مسابقات موسمية بين الحفاظ يرشح لها النبغاء والحدائق، لاسيما من جمعوا بين الحفاظ المكين وبين صغر السن. وقد خلد لنا التاريخ قوله حين عُرض عليه الشيخ أبو شعيب الدكالي¹⁰ وهو في الصبا، وقد حفظ القراءات السبع وربع العبادات من متن الشيخ خليل: «تضاعف

فياض صاحب تاريخ قرطبة حيث يقول: «كان بالربض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة، كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي».

وقد علق صاحب المعجب على ذلك بقوله: «هذا ما في ناحية من نواحيها، فكيف بجميع جهاتها»¹.

في مراكش

وفي مراكش، بعد قيام الوحدة بين عدوتي المغرب والأندلس في أوائل عهد الدولة المرابطية على يد يوسف بن تاشفين (ت 500هـ-1107م)، تدفق هذا النشاط القرائي العارم فصادف التربة الخصبة النقية وترعرع، ولم يلبث أن بلغ أوجه مع استبحار العمران في عاصمة البلاد حتى ذكر الحافظ الذهبي² في ترجمة يعقوب المنصور الموحيدي³ في سير أعلام النبلاء أنه أنشأ بمراكش كتابا لتعليم اليتامى وأبناء الفقراء كان فيه نحو ألف طفل، وكان يقوم بتعليمهم عشرة من المعلمين (سير أعلام النبلاء: 317/21).

في أطراف البلاد عبر العصور التاريخية

وقد تقاسمت الجهات المغربية هذه العناية والرعاية، فقام أهل كل أفق بالمنافسة في ذلك حتى بلغوا فيه كل مبلغ، ونبغ منهم النوايع الموصوفون بالحفظ والتحصيل ورسوخ القدم في هذا الفن، بل كان لبعض الجهات ما يشبه التخصص في جوانب معينة، كاشتهار أهل سوس⁴ بإتقان الرسم والضبط، وأهل جبالة⁵ بحفظ العدد (الخط)، وأهل سجلماسة⁶ بقواعد التجويد

1- انظر المعجب في تلخيص أخبار المغرب للمراكشي. ص 520، بتحقيق بديع حقي.

2- هو أبو العباس أحمد بن محمد بن قيمان الذهبي الدمشقي صاحب كتاب سير النبلاء، ومعرفة القراء الكبار توفى سنة 748هـ-1347م.

3- هو يعقوب بن يوسف بن عبد المومن بن علي أشهر ملوك الموحدين وصاحب المنشآت الأثرية الفخمة كصومعة الكتبية بمراكش وحسان بالرباط والخير الدا بإشبيلية، وهو مؤسس مدينة رباط الفتح (عاصمة المغرب). توفى سنة 595هـ-1199م.

4- يطلق هذا الاسم قديما على قبائل الجنوب المغربي ما بين نهر أم الربيع والصحراء المغربية، وفي زمننا على القبائل الجنوبية مما يلي تارودانت وأكادير إلى مدينة كلميم في أول الصحراء المغربية.

5- يطلق هذا الاسم على سائر قبائل شمال المغرب ابتداء من فاس إلى سواحل الحسيمة وتطوان وطنجة.

6- هي عاصمة بني مدرار قديما، وتقع أطلالها اليوم في مدخل مدينة الريصاني بإقليم الرشيدية في شرق المغرب.

7- هي القبيلة المحاذية لمدينة مراكش من جهة الشرق، وتمتد على سفوح الأطلس الكبير، وعاصمتها قديما مدينة أغمات، وتمتاز بوفرة مياهها وكثرة ثمارها.

8- هي القبيلة الواقعة على ضفة نهر أم الربيع ما بين الشاوية وعبدية وأحمر والرحامنة وقاعدتها مدينة الجديدة.

9- هي المدرسة القرآنية التي أنشأها المقرئ والولي الشهير سيدي محمد الزوين الحوزي الشراي بقرب سوق اثنين الأوداية بحوز مراكش على بعد نحو ثلاثين كلم غربا، وقد اشتهر بالقراءات السبع منذ تأسيسها إلى اليوم، توفى مؤسسها سنة 1311هـ-1894م. في نفس السنة التي توفى فيها المولى الحسن الأول، وكان يزوره في مدرسته.

10- هو شيخ الجماعة في زمنه ومحدث المغرب، له رحلة إلى المشرق تلقى فيها العلم بالأزهر الشريف ورجع إلى المغرب فأسند إليه تدريس الحديث ثم ولي الوزارة، وكانت له مجالس حداثية سلطانية مشهورة، كما أقرأ الشاطبية دروسا بالزاوية الناصرية بسلا. توفى سنة 1356هـ-1937م.

لأبي شعيب الجائزة، لصغر سنه، وكبر فنه»¹.

الخاءات الثلاث

وقد كان مما يقال في عهد المولى الحسن، وكان شائعاً ما بين الطلبة: «من أراد الحظوة والمنزلة عند السلطان فعليه بحفظ الخاءات الثلاث: «خليل وخلف وخلاد» يعنون بذلك حفظ متن خليل في الفقه المالكي. وحفظ قراءة حمزة من روايتي راوييه: خلف² وخلاد³.

في عهد السلطان سيدي محمد الخامس

وفي عهد الملك سيدي محمد الخامس، ولا سيما بعد أن تنفس المغاربة الصعداء، وتنسموا نسائم التحرر من الاحتلال، عادت العزائم جذعة، وانطلقت همم الملك وشعبه لإعادة بناء مغرب الاستقلال، وإحياء ما اندرس أو كاد من المعاهد والمدارس والجوامع القرآنية، والمؤسسات الدينية، فكانت الوثبة التي أنعشت الأمل في النفوس، وأخذ الغراس الخير في مدارس القرآن وكتاتيبه في المدن والقرى يؤتي أكله الزكي كل حين.

فما زال صوت الشيخ المقرئ المجود سيدي محمد ابن موسى رحمه الله الذي اكتشفه السلطان محمد الخامس، واستبان فيه تلك الموهبة التي ما زلنا نعيش من خلالها ذكراه مع ما يذاع إلى اليوم من تسجيلاته بالطريقة الفذة التي خلد فيها طابع مدرسته في القراءة المغربية إلى الأبد. وإنما كان المجود ابن موسى واحداً في طبعة الكوكبة التي أعطت لأهل القرآن رسمياً ذلك النفس الذي بقي متواصلاً إلى اليوم.

في عهد الملك المجدد المولى الحسن الثاني

وفي عهد المولى الحسن الثاني اكتمل هذا الصرح واستطال وزاد شموخاً، فانطلقت المؤسسات تجني ثمار عقود البناء استطاعت من خلالها أن تجدد هياكلها، وأن توسع من ميادين عملها في أكثر من اتجاه، وانتعشت مدارس القراءات، واتسعت حركة الكتاتيب، وفتحت الدولة عن طريق وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

آفاقاً جديدة ورحبة لتفتيق مواهب الناشئة في ميادين الحفظ لكتاب الله، وتجويده والمنافسة فيه، فأحدثت لذلك البرامج الإذاعية، والمسابقات الموسمية، ورصدت الجوائز القيمة والمكافآت المهمة لحفز همم الناشئة ولطلب المزيد من الحذق والتبريز في هذا الشأن.

وهكذا أصبح قراؤنا، في أواخر القرن الماضي، يشاركون وينافسون في مسابقات ومباريات التجويد والحفظ، ويحصلون على الجوائز والمراتب المشرفة في عدد كبير من دول المشرق العربي والعالم الإسلامي.

كيف ومتى دخل القرآن الكريم بقراءاته إلى المغرب؟

دخل القرآن الكريم إلى المغرب تحت راية الفتح الإسلامي. وكان القراء من الصحابة والتابعين في طليعة الفاتحين الأولين. وعمل الخلفاء في المشرق على مد جسور التواصل بين المدارس القرآنية في الأمصار الإسلامية وبين المدارس الناشئة، وإحداث حلقات التعليم القرآني في المساجد، كما كانوا يتعهدون الجهات النائية بإرسال بعثات تعليمية من القراء، ومن أهمها في المغرب تلك البعثة التي بعث بها إلى إفريقية والقيروان الخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي (101-99هـ) والتي كان فيها القارئ والداعية المعلم إسماعيل بن أبي المهاجر في عشرة من قراء وفقهاء التابعين، وكان الفضل يرجع إليها في تثبيت الإيمان في أفئدة المؤمنين، وتعليم كتاب الله وبذر محبته في هذه الجهات، الأمر الذي مكن من سرعة انتشار الاسلام وقيام مؤسسات التعليم ونجاحها في نشر مبادئ الدين ومقاومة النحل الفاسدة والدعوات الزائفة.⁴

ولما فتحت بلاد الأندلس على العدو الأخرى من البحر الأبيض المتوسط عام 92 من الهجرة، تضاعف هذا النشاط. وكان للبيئة الاجتماعية الجديدة التي تلاق فيها العنصر العربي مع العنصر الأمازيغي والعنصر

1 - كتاب شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي الصديقي للدكتور محمد رياض: 105.

2 - هو خلف بن هشام البغدادي المقرئ أحد راويي قراءة حمزة. توفي سنة 229هـ - 844م.

3 - هو خلاد بن خالد الراوي الثاني عن سليم عن حمزة الكوفي.

4 - انظر كتاب قراءة الإمام نافع عند المغاربة للدكتور عبد الهادي حميتو: 40-34/1. نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

وغير ذلك مما يسوغ في العربية، ويدخل ضمن ما يعرف عند العلماء بالأحرف السبعة، كما أشار إلى ذلك الحافظ ابن الجزري الدمشقي (ت833هـ) في أرجوزته طيبة النشر في القراءات العشر في قوله في أولها:

وأصل الاختلاف أن ربنا أنزله بسبعة موهونا

وهكذا كان كل قارئ يقرأ بما يطوع به لسانه في عهد النبوة ريثما اكتمل التنزيل، فلما أكمل الله نبيه رسالته، وانتهى النسخ، واستقر الأمر، بدأ عليه الصلاة والسلام يعرض القرآن على الحفاظ من صحابته كعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت، إلى أن استقرت التلاوة على روايات محددة معينة ضبطها عنه هؤلاء الصحابة وقرأوا وأقرأوا بها في حياته وبعدها حسب العرضات التي حضروها.

ولما فتحت الأمصار خرج كثير من الصحابة إليها فاستقروا بها، وبقي بالمدينة الخلفاء الراشدون وجماعة من القراء، كأمهات المؤمنين وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، ونزل عدد منهم بمكة، ومنهم عبد الله بن عباس وعبد الله بن السائب، ونزل بالكوفة عبد الله بن مسعود، ونزل البصرة أنس بن مالك، ونزل بجمص معاذ بن جبل، وبدمشق أبو الدرداء. وتلاقحت هذه الروايات فيما بينها، فكانت أساسا لقيام مدارس الأمصار، وظهور القراءات السبع بها، واشتهارها، والرحلة من الأقطار في طلبها، وكلها بالإسناد إلى هؤلاء الصحابة النازلين بها.

ظهور القراءات السبع ودخولها إلى الأقطار المغربية

والمقصود بالقراءات السبع قراءات سبعة قراء من أئمة أهل الأمصار الخمسة المشهورة، وهم:

1. نافع بن أبي نعيم المدني إمام أهل المدينة في القراءة، أصله من أصبهان ببلاد فارس، وولد بالمدينة، وقرأ على قرائها بالمسجد النبوي. ولد سنة 70هـ - 690م وتوفي سنة 169هـ - 786م.¹

اشتهر من رواة قراءته عدد كثير، ومنهم في «العشر الصغير» كما سيأتي أربعة من الرواة، واشتهر في

القوطي أثر كبير في قيام تنافس حميد ظل يتنامى مع الزمن ليثمر في النهاية حضارة زاهية وقيام نظم إدارية ومؤسسات علمية كان القرآن العظيم محور حركتها، ودستورها المدني، وقانونها القيادي. وهكذا التحم المغاربة بالقرآن قلبا وقالبا، وتحركوا بدعوته وقيمته، فأقاموا دولا تعاقبت على الحكم في المغرب والأندلس، وتنافست عبر التاريخ في خدمة هذا القرآن ونشره، ورعاية مدارسه ومؤسساته، والعناية بالمبرزين من أهله. وكانت المهارة في حفظه وحفظ قراءاته ورواياته وعلو الأسانيد فيها من الصفات الأساسية التي كانت ترشح القارئ لتولي المناصب العليا في الوظائف الدينية، كالإمامة والقضاء ومشايخة الإقراء في الحواضر المهمة، وتأديب أولاد الأمراء والكبراء، كما كانت هذه المؤهلات من لوازم الخطوة في مجالس الأمراء والوزراء، الأمر الذي كان يشجع على طلب هذه العلوم والسعي إلى التبريز فيها والرحلة إلى الشيوخ في تحصيلها.

وهكذا، وابتداء من منتصف القرن الثاني الهجري بدأ القراء من المغرب ومن القيروان وإفريقية، ومن الأندلس من قرطبة وإشبيلية وغيرهما يشدون الرحال إلى المشرق طلبا للحصول على الأسانيد العالية في القراءات القرآنية للقاء مشايخ الأمصار والأخذ عنهم، في المدينة المنورة، ومكة المكرمة، ومدن الشام كحمص ودمشق، ومدن العراق كالبصرة والكوفة وبغداد، وفي مدن مصر كالفسطاط والإسكندرية والقاهرة المعزية. ولم تكد تنتهي المائة الثالثة من الهجرة حتى انتشرت في المغرب والأندلس أكثر الروايات عن القراء السبعة أئمة القراءات في الأمصار.

القراءات السبع ومدارسها في الأمصار المشرقية

كان سبب تعدد القراءات مع أن القرآن واحد، أن الله سبحانه تيسيرا منه على الأمة أنزله على نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - بلسان قريش أولا، ثم أذن له أن يقرئ أمته بما يسلس على لسانها وتطوع به، مما تتكلم به على غير لسان قريش، في أحوال الهمز والتسهيل، والفتح والإمالة، والإدغام والإظهار، والترقيق والتفخيم، والتذكير والتأنيث، والإفراد والتثنية والجمع،

1 - انظر ترجمته في غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ومعرفة القراء الكبار للإمام الذهبي.

القراءات السبع من الطرق المشهورة عنه راويان وهما:

أ. أبو سعيد عثمان بن سعيد المصري الملقب بورش - بسكون الراء - رحل ورش إلى المدينة فعرض القراءة على نافع، وروى عنه عدد الآي على مذهب أهل المدينة، ورجع فتصدر في مدينة الفسطاط بمصر، ورحل إليه القراء من الآفاق، من المغرب والأندلس وغيرهما إلى أن توفي بمصر سنة 197هـ - 813م، ثم دخلت روايته الأقطار المغربية، واشتهرت بها على يد أبي عبد الله محمد بن خيرون الألبيري (ت306هـ) الذي تصدر للإقراء بها من طريق أبي يعقوب يوسف بن عمرو بن يسار الأزرق أشهر الرواة عن ورش، والمتوفى بمصر سنة 224هـ - 839م. ثم تعددت الطرق عنه فيها في المائة الرابعة والخامسة حين دخل بها الأئمة أصحاب الرحلات العلمية إلى المشرق، ومنهم أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي نزيل قرطبة ومؤلف كتاب التبصرة (ت437هـ) وأبو عمرو عثمان بن سعيد الداني نسبة إلى مدينة دانية في شرق الأندلس، لنزوله بها في كنف أميرها مجاهد العامري سنة 417هـ - 1026م ألف أبو عمرو الداني كتاب التيسير في القراءات السبع، وضمنه أشهر الروايات والطرق عن القراء السبعة، ونظمه الإمام القاسم بن فيره الشاطبي الأندلسي المتصدر بمصر والمتوفى بها سنة 590هـ - 1194م وعلى كتاب التيسير وقصيدة الشاطبي «حرز الأمان» التي نظم فيها التيسير للداني كان المدار وما يزال في القراءات السبع عند المغاربة والمشاركة إلى اليوم. توفي أبو عمرو الداني سنة 444هـ - 1052م وهو إمام أهل المغرب في قراءة نافع، وباختياراته أخذوا يأخذون قديما وحديثا في الرسم والضبط والقراءة من طرق عدد من المشايخ إليه، كطريق تلميذه أبي داود سليمان بن نجاح البلنسي (ت495هـ) وطريق الإمام الشاطبي المذكور، وطريق أبي الحسن علي بن محمد بن بري التازي صاحب الدرر اللوامع في قراءة الإمام نافع المتوفى سنة 730هـ - 1330م، ثم من طريق شيخ الجماعة بفاس أبي عبد الله محمد بن غازي المكناسي (ت919هـ) وطريق أبي زيد عبد الرحمن بن القاضي شيخ الجماعة بفاس ومؤلف كتاب الفجر الساطع في شرح الدرر اللوامع (ت1082هـ) وطريق أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي شيخ الجماعة بفاس (ت1214هـ)، وكان ممن أحيا الله بهم هذا العلم في أيام السلطان محمد بن عبد الله العلوي

(ت1204هـ) وقد طاف في المغرب، وأقرأ بفاس وسوس والصويرة، وعليه قرأ الشيخ محمد التهامي الأوبيري الحمري شيخ سيدي الزوين صاحب المدرسة الشهيرة في القراءات بالحوز المراكشي (ت1311هـ).

ب. أبو موسى عيسى بن مينا الزرقى المدني الملقب بقالون (ت220هـ) وكان ربيب نافع ابن زوجته، ولازمه في القراءة ثلاثين سنة، وخلفه في الإقراء بالمسجد النبوي بعد موته، وروايته عنه هي أشهر الروايات مع رواية ورش، وبها يأخذ إلى اليوم أهل ليبيا وأكثر أهل تونس.

والرمز الخاص بنافع هو حرف الألف من حروف (أبي جاد) المرموز بها للقراء والرواة. ويرمز في الألواح اختصارا لرواية ورش بحرف الجيم، ولرواية قالون بحرف الباء هكذا (أبج) الألف لنافع، والباء لقالون، والجيم لورش.

2. عبد الله بن كثير المكي، وهو القارئ الثاني من السبعة وإمام أهل مكة في القراءة، قرأ على عبد الله بن السائب وتلاميذ عبد الله بن عباس كمجاهد بن جبر وغيره. وأقرأ بالحرم المكي إلى أن توفي سنة 120هـ - 738م ويرمز له في الألواح بحرف الدال.

اشتهر بالرواية لقراءته راويان، وهما:

أ. أحمد البزي (ت250هـ)، ويرمز له بحرف الهاء.
ب. محمد قُتَيْبِل (ت291هـ)، ويرمز له بحرف الزاي.

3. أبو عمرو بن العلاء المازني البصري إمام أهل البصرة في القراءة والعربية، أخذ القراءة عنه أبو محمد اليزيدي، ورواها عنه:

أ. أبو عمر الدوري (ت246هـ).
ب. أبو شعيب السوسي (ت271هـ).

وعنهما اشتهرت قراءة البصري في الأقطار. توفي أبو عمرو سنة 154هـ - 771م ويرمز له في الألواح بحرف الحاء. ويرمز للدوري بالطاء، وللسوسي بالياء.

4. عبد الله بن عامر اليحصبي إمام أهل الشام في القراءة ورابع السبعة وأقدمهم وفاة توفي سنة 118هـ - 736م، وقد أدرك عددا من الصحابة كأبي الدرداء

الإمام الشاطبي في القرن السادس الهجري فنظمها في «الشاطبية» واستعمل الرموز المذكورة للإشارة لأسماء القراء السبعة ورواتهم الأربعة عشر، مستتبلاً ذلك بذكائه استنباطاً عجيباً، ومستعملاً لحروف (أبجد) المشهورة لتعيين القارئ أو الراوي المقصود أو مجموعة الرواة على سبيل الاختصار.

بقية القراء العشرة

وقد جمع بعض الأئمة قراءات أخرى زادوها على قراءات السبعة، وأهمها القراءات الثلاث المكملات للقراءات العشر، وهي:

8. قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع إمام أهل المدينة في القراءة قبل نافع، وهو أهم شيوخه في القراءة، توفي بالمدينة سنة 127هـ-745م، ويرمز له في القراءات العشر بحرف الألف. ولقراءته راويان هما:

أ. سليمان بن مسلم بن جَمَّاز (ت170هـ).

ب. عيسى بن وردان الحذاء المدني (ت160هـ).

9. قراءة يعقوب بن إسحاق الحضرمي إمام أهل البصرة بعد أبي عمرو بن العلاء وإمام المسجد الجامع بها، توفي سنة 205هـ-821م، ورمزه في القراءات العشر المشهورة حرف الحاء، وله راويان:

أ. محمد بن المتوكل المشهور بلقب رُوَيْس (ت238هـ).

ب. رَوْح بن عبد المؤمن الهذلي (ت234هـ).

10. قراءة اختيار خلف بن هشام البغدادي (ت229هـ)، ويقال له خلف العاشر تمييزاً لروايته عن حمزة أنفة الذكر عن قراءته التي اختارها، وهي تمام القراءات العشر، ورمزه في قراءته في العشر حرف الفاء، ولقراءته المذكورة راويان وهما:

أ. إسحاق بن إبراهيم الورَّاق (ت286هـ).

ب. إدريس الحداد (ت292هـ).

القراءات العشر في المغرب

وقد اشتهرت القراءات العشر في المغرب ابتداء من القرن الحادي عشر الهجري، من طرق الشاطبية في السبع، وطرق الدرة للحافظ ابن الجزري في الثلاث الزائدة على السبع، ويطلق عليها عند المغاربة «العشر الكبير» وقد اشتهرت به فاس في القرن الثاني عشر

(ت32هـ) وأخذ عنه، ويرمز لابن عامر بحرف الكاف.

كما اشتهرت روايته من طريق الراويين:

أ. هشام بن عمار (ت245هـ) ويرمز له بحرف اللام.

ب. عبد الله بن ذكوان (ت243هـ) ويرمز له بحرف الميم.

5. عاصم بن أبي النجود الكوفي إمام أهل الكوفة، قرأ على أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي من التابعين (ت73هـ) وتوفي عاصم سنة 127هـ-745م ويرمز له بحرف النون، وله راويان مشهوران هما:

أ. شعبة بن عياش (ت193هـ)، ويرمز له بحرف الصاد.

ب. حفص بن سليمان (ت180هـ)، ويرمز له بحرف العين.

6. حمزة بن حبيب الزيات إمام أهل الكوفة بعد عاصم، قرأ على حمران بن أعين وسليمان بن مهران الأعمش، وتوفي سنة 156هـ-773م ويرمز له بحرف الفاء، ولقراءته راويان مشهوران هما:

أ. خلف بن هشام البغدادي (ت229هـ)، ورمزه حرف الضاد.

ب. خلاد بن خالد (ت220هـ)، ورمزه حرف القاف.

7. أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي الأسدي (ت189هـ) إمام أهل الكوفة بعد عاصم وحمزة كما اشتهر بالإمامة في النحو، ورمزه حرف الراء، وله راويان هما:

أ. أبو عمر الدوري المتقدم، ورمزه حرف السين.

ب. أبو الحارث الليث بن خالد (ت240هـ)، ورمزه حرف التاء.

هؤلاء القراء السبعة هم الذين اقتصر مسبع السبعة، وهو أبو بكر محمد بن مجاهد البغدادي (ت324هـ) على ذكر اختياراتهم في القراءة في كتابه «السبعة في القراءات» وأخذ قراء عصره بهذا الكتاب واقتصروا على ما فيه، واشتهرت هذه الروايات في المشرق والمغرب، وعليها عول العلماء لتواترها وشهرتها. إلى أن ظهر

2 - رواية قالون من ثلاثة طرق:

(أ) طريق محمد بن هارون المروزي المعروف بأبي نسيط (ت258هـ).

(ب) طريق أحمد بن يزيد الحلواني (ت250هـ).

(ج) طريق إسماعيل بن إسحاق القاضي المالكي (ت282هـ).

3 - رواية إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري (ت حول 180هـ) من طريقين:

(أ) طريق أحمد بن فرح المفسر (ت303هـ).

(ب) طريق أبي الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس (ت284هـ).

4 - رواية إسحاق بن محمد المسيبي، ولها طريقان:

(أ) طريق ولد إسحاق وهو محمد بن إسحاق المسيبي (ت236هـ).

(ب) طريق محمد بن سعدان الضير (ت231هـ).

هذا، وقد جمع المتأخرون من قراء المغرب بين العشر الكبير برموزه وبين العشر الصغير برموزه بطريق الجمع والإرداف، واختص النوابع منهم بحفظ ذلك والمهارة فيه، واستعان غيرهم بالرمزيات المؤلفة في ذلك، كما اعتمدوا عليها في تصحيح الألواح ورسم الرموز المصححة للقراءة عليها، ويطلق على من يحفظ العشر الكبير اسم «العشراوي» فإذا ضم إليه الصغير أيضا يقال فيه: «يحفظ العَشْرين».

الهجري. وازدهرت على يد العلامة المقرئ أبي العلاء إدريس بن محمد الشريف المنجرة المتوفي سنة 1137هـ - 1725م بعد دخوله بها من رحلته إلى المشرق، وقراءته بها على مشيخة القراءات بمصر. وأما المشاركة فاسم «العشر الكبير» أو «العشر الكبرى» إنما يطلقان عندهم على القراءة بمضمن قصيدة طيبة النثر في القراءات العشر لابن الجزري، وأما القراءة بمضمن «الشاطبية» مع «الدرة» فيسمونها باسم «العشر الصغير» أو «العشر الصغرى» ولا يعرفون منذ قرون ما يتعلق بالعشر الصغير من الطرق المروية عن نافع كما هي عند المغاربة.

العشر الصغير في المدرسة المغربية

انفردت المدرسة المغربية، منذ أوائل المائة الهجرية الخامسة على يد الحافظ أبي عمرو الداني برواية الطرق النافعية المتفرعة عن أشهر الرواة عن نافع، وهم الرواة الأربعة الذين اشتهروا بالرواية عنه من عشرة طرق عنهم، وهم الذين جمعهم الإمام الداني في كتابه المسمى باسم «التعريف في اختلاف الرواة عن نافع» وهو مطبوع أكثر من مرة.

ويشتمل الكتاب على روايات أربعة من الرواة من عشرة طرق، وهي:

1 - رواية ورش من ثلاثة طرق:

(أ) طريق يوسف الأزرق (ت224هـ)

(ب) طريق عبد الصمد العتقي (ت234هـ)

(ج) طريق محمد بن عبد الرحيم الأصهباني (ت282هـ)

